

خمسون عاماً

خالد البيطار*

خمسون عاماً مضت والعمر قد ذهباً
والشيب أومض في فؤادي يُنذرنِي
والقلب يخفق لا يدري: يموت غداً
فلا يرى أحداً بمن يكلمه

قضيتها سنووات بعضها رعداً
وبعضها نكد ما زلت أدفعه
ماذا أقول وقد أبصرتها صوراً
هذا الصغير أراه لاهياً مرحاً
قدمر في خاطري لم تخف صورته
يدور يلعب ساعات بلا ملل
أودعته في فؤادي فهو مرتعه

وجاء يتلووه في عزم الشباب فتى
لا ينثني وهو يمشي نحو غايته
يمضي على الدرب لا تغريه أفرعه
يمضي ولا تعرف الإعياء همته
مرت عليه الليالي وهي حالكة
وأقبلت نحوه الدنيا بزنتها
وأن يطيع هواه في تقلبه
فلم يجد عن طريق الحق أنملة

(*) شاعر سوري، له ديوان شعر بعنوان - «أجل سيأتي الربيع».

ما زالت أشعر أن النفس تحفزني
وروحه هي روعي في تألقها
واليوم تمضي بي الساعات مسرعة
ما إن أرى الفجر في إشراقه خضلاً
والغصن ما إن أراه في نضارته

أمضي على الدرب والأيام تنهيني
فجر يبيء بأحلام مجنحة
رحى تدور وهذا الكون مسرحها
بلغت خمسين عاماً وهي وافرة
لكنها عند من شئت بصيرته

ما زلت أمضي على دربي يرافقتني
عاجته بالأمان وهي زاهية
فإخوتي وأحبائي غداً فارقاً
وغررتني أهرقتني في تطاوها
كانا صربت حولي حواجزها
ولست أدري متى تنزاح عن بلدي
ظننت أن ربيع الكون يطرد لها
وظل همي حبيساً في الفؤاد ولم
أعيش في الجسم بين الناس مغترباً
الناس حولي ولكن لا أنيس بهم
فهل أرى في غدي ما كنت أمله؟
وهل أعود إلى روضي ورايتي؟
وهل تعود إلى روضي ابتسامته

نعم سيشرق فجر لا أشك به
فالليل مها عتاً أوصل في صلف
ينبر للساكنين الدرب والشعباً
فليس يمكنه أن يطفئ الشهباً

الأدب الإسلامي

بين

المفهوم والتعريف والمصطلح

بقلم: د. سعد أبو الرضا*

هذه دعوة إلى إعادة النظر في خطابنا الأدبي والنقدي حول الأدب الإسلامي كمذهب أدبي استطاع أن يشكل ويجلي في السنوات العشر الأخيرة كثيراً من خصائصه وسماته، التي دعمتها النماذج الأدبية للمبدعين المخلصين شعراً وقصة ومسرحية ومقالة وغير ذلك من الأشكال الفنية المعتد بها.

يقترح أن يكون المصطلح «آداب الشعوب الإسلامية» وبرغم غرابة هذا الاعتراض الذي يعوزه البعد التاريخي العقائدي، لأن الأدب الإسلامي مرتبط بالإسلام ولغته وقرآنه، الذي نزل «بلسان عربي مبين»، ومن ثم يمكننا أن نعتبر العربية لغة أولى للآداب الإسلامية، وليس معنى ذلك أننا ننكر آداب الشعوب الإسلامية الأخرى، كلا فنحن نعتد بها، ونحث الجهود على دراستها، كما ندعو إلى ترجمتها إلى اللغة العربية، كما نترجم الأدب الإسلامي العربي إلى لغات الشعوب الإسلامية الأخرى، بذلك يمكن أن تتشكل منظومة الأدب الإسلامي شاملة آداب كل المسلمين، وقد تأصلت قيمه الإسلامية، وذلك تحت مصطلح «الأدب الإسلامي» ذلك التركيب الذي شاع بيننا، وأصبح يحمل هوية ذلك الأدب موحداً بين دعائه، بينما تركيب «آداب الشعوب الإسلامية» قد يكون مدعاة للتفرقة والتباين في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة والتوحد، مع طموحاتنا في اتساع الأدب المقارن ودراساته العميقة

وربما كانت التفرقة بين المفهوم والمصطلح مدخلاً مناسباً للحديث عن جوهر الأدب الإسلامي، فما هو الفارق بين المفهوم والمصطلح للآداب الإسلامي؟

لماذا نضيّق واسعاً ونغلق باباً ربما يكون فيه هداية لغير المسلمين؟!؟

أتصور أن التحديد والجمع والمنع والخصر والمواضعة من أهم سمات المصطلح من الناحية المنطقية، بينما لا يتحقق كل ذلك في المفهوم، الذي يمكن أن يتصل بجلاء طبيعة الأدب الإسلامي وخصائصه التي بلورت مصطلحه، كما يرتبط بالكشف عن الحاجة الفكرية والأدبية إليه، والدور العقائدي المنوط به، وبيان التطورات التي أسهمت في نموه، وتوضيح علاقته بغيره من الآداب والمذاهب والأنساق المعرفية، وجلاء دوره في منظومة الفنون والمعارف الإنسانية، إلى غير ذلك من الأبعاد والقضايا التي تضيء جوانب هذا المفهوم وتفسره وتوضحه.

فماذا حقق الأدب الإسلامي من هذه الحدود المنطقية الثلاثة المصطلح والتعريف والمفهوم؟

بالنسبة لتركيب «الأدب الإسلامي» هل يمكن أن نعتبر ذلك التركيب مصطلحاً قد تحققت فيه المواضعة والتحديد والجمع والمنع والخصر؟

إن بعض الباحثين منا لا يزال يتعامل مع هذا التركيب ببعض الشك فيه، إذ يرى أن هذا التركيب لا يتضمن آداب شعوب إسلامية أخرى غير الأدب العربي، ومن ثم

أما التعريف فيمكن أن يكون موجزاً بصورة تتجاوز المصطلح، وموجزاً لأبعاد

(*) أستاذ جامعي وناقد أدبي، صدر له: «الأدب الإسلامي قضية وبناء»، والنص الأدبي للأطفال»، وهو من مطبوعات الرابطة، وغيرهما. يعمل الآن أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية معارفاً من جامعة الزقازيق.

القرآن الكريم بفصاحته وتفرد، والمتغيرات بما تزود به المبدعين من وسائل تعبيرية قادرة على الإقناع والتأثير والإمتاع، وإثراء الفكر بعيداً عن المباشرة والوعظ، وإن كان ذلك الأدب لا تفتقد فيه العبرة والموعظة.

فإذا ما انتقلنا إلى التعريف، فما أكثر التعريفات التي وضعت لذلك الأدب. لكنها جميعاً كانت قائمة على اعتبار التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان أساساً هاماً في هذا التعريف، ورغم اختلافنا فيما وراء ذلك، من هذه التعريفات مثلاً: «إن الأدب الإسلامي صياغة التجربة الحياتية صياغة جميلة معبرة موحية من خلال التصور الإسلامي لها»، حيث يمكن أن يشكل هذا الجنس الأدبي بساطته الفنية الإسلامية الخاصة شيئاً من الأدب الإسلامي.

وليس في الالتزام بالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان تقييد لحرية الأديب، وإنما تتطلب طبيعة وجوده في الحياة كإنسان سوي أن يتعامل مع من فيها، وما فيها، وأن يتكيف معها، ثم يكون له موقف منها يتجلى في تعبيره الجميل عنها، في ضوء قيم الإسلام ومبادئه.

وإذا كنت أحبذ وحدة المصطلح، والحث على الوصول إلى ذلك وتأكيده، فإنني أدعو إلى تعدد التعريفات لأنها في نظري مشرية للأدب الإسلامي ونقده، ما دام هناك مصطلح بالمواصفات التي أشرت إليها في مطلع حديثي.

يتجاوز النسبة النحوية في «الإسلامي» إلى جعل الإسلام أكثر اتصالاً بطبيعة هذا الأدب، وأشد وضوحاً وخصوصية فيه، وبغرم وجاهة ذلك التصور أيضاً وحرصنا على دلالة لأعلى مسماه، فإنني أعتقد أن دلالة لفظة «الإسلامي» أكثر تحقيقاً لهذا الجانب، إذ تتضمن عبارة «الأدب الإسلامي» كل ما نتصوره من أدب لحمته وسداه الإسلام بقيمه ومبادئه، وتفيض منه العاطفة الدينية بتوهجها وإخلاصها، ثم إن هذا التركيب أكثر شيوعاً بيننا، وحيداً لو تجاوزنا الاختلاف حوله إلى معالجة نظريته نفسها وتأصيلها.

وما سبق يؤدي بنا إلى القول بأن الارتباط بين ركني هذا المصطلح «الأدب الإسلامي» بحاجة إلى بحوث ومناقشات،

قيم الإسلام يدعمها في نفس الإنسان التأثير بجماليات العربية

ومزيد من النماذج الدالة لبلورة هذا المسمى حتى نحقق له مزيداً من الاستقرار والجمع والمنع، وغير ذلك من شروط المصطلح المنطقية التي يوجبها العقل، وتتطلبها الدعوة إلى هذا المذهب، وقبل كل ذلك وبعده، الاعتدال في خطابنا حتى نتوجه بدعوتنا إلى القاصي والداني والعدو والصديق.

مستوى جمالي:

وإذا كان الأدب فناً تجليبه اللغة في مستواها الجمالي، فإن قيم الإسلام ومبادئه يدعمها في نفس الإنسان التأثير بجماليات هذه اللغة، تلك الجليات التي تثيرها لغة

لكل هذه الآداب المختلفة اللغات. هذا في الوقت الذي قد يرى فيه بعض الباحثين أن الأدب العربي كله أدب إسلامي، وفي هذا الرأي المقابل لما سبق، نجد تجاوزاً في تحديد هوية المصطلح، وخطأً لأبعاده. حقاً للإسلام بقيمه ومبادئه الفضل في نشر وانتشار اللغة العربية وآدابها وعلومها، لكن ذلك ليس مسوغاً لهذا التوسع الذي قد يفقد المصطلح تحديده وجمعه ومنعه وحصره ومواضعه التي اكتسبها خلال هذه السنوات.

ركن أساسي:

إن صفة «إسلامي» وهي ركن أساسي في تركيب «الأدب الإسلامي» قد دفعت بعضاً منا إلى تصور أن ذلك الأدب الإسلامي لا يصدر ولا يقبل إلا من المسلم الملتزم بدين الإسلام، مع أن ذلك قد يكون فيه تضيق لواسع، وإغلاق لباب قد يفتح طريق الهداية إلى الإسلام لغير المسلمين، فالإسلام ما جاء إلا لهداية كل الناس، والأمثلة شاهدة على إيجابيات هذه الفكرة، وهي أن يتسع الأدب الإسلامي ليشمل كل أدب

تتحقق فيه خصائصه، دون نظر إلى من قال، لأن اعتدادنا هنا إنما يكون بما قيل، بعيداً عن الرؤية الضيقة، ولعل استيحاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم «أوغلوا فيه برفق، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» مهيم لا تساع رؤيتنا في هذه القضية والابتعاد بها عن العصبية، بل يمكننا أن نصف الأدب ذا الخصائص الإسلامية الذي يصدر عن غير المسلمين بالأدب الموافق، وهي فكرة طيبة تسير ساحة الإسلام وتوجهه لكل البشر، وكونه خاتم الأديان.

وهناك من يريد تسميته «بالأدب المسلم» راثياً أنه بتلك الصفة «المسلم»